

مناهج تحقيق الكتاب المخطوط بين العرب والغرب

جهول علماء العرب في تحقيق النصوص

عليوة صبرينا

جامعة الجزائر

مقدمة :

لتراثنا المخطوط آفاق فسيحة تبلور من خلالها حضارة الأمة العربية والإسلامية، فالمطلع على تاريخ هذه الحضارة يقف عن كتب على سعة آفاقها وشمولها لجوانب متعددة من علوم وآداب وفنون وعمران، وآثار وصناعات وابتكارات متنوعة فيما يتصل بالكون والحياة والإنسان، وهي حضارة مبدعة لم تدع جانبا من الجوانب إلا وكان لها فيه سهم وافر ومجال رحب وإذا تمتعنا في عطائها العلمي والثقافي نجد أنفسنا أمام حشد هائل من الكتب والمصنفات التي دونها العلماء السابقون في شتى صنوف العلم والمعرفة من علوم في الشريعة واللغة والأدب والطب والحساب والهندسة وغير ذلك.

إن المتأمل في بعض المؤلفات التي ترصد مسيرة تراثنا في حركة التأليف والفكر يقف على ما يثير العجب والدهشة لشمول واتساع التأليف عند العلماء العرب والمسلمين حيث شمل جميع جوانب العلم ودقائق المعرفة فيما يقرب من مائتي عام وخلفوا لنا في ذلك كله تراثا ضخما يكاد يفوق الحصر ونظرا لأهمية تراثنا المخطوط كان لابد من إعادة بعثه من جديد بتحقيقه وعرضه عرضا علميا دقيقا، فتحقيق المخطوط هو عملية تقلص النص مقروءا ومشكلا وموثقا وإثبات صحته وعنوانه لمؤلفه بدليل علمي قاطع والسهر عليه سهرا كليا لتثبيت كل ما فيه من كلام وشواهد وأعلام، فهو عملية إحياء نص قديم، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن الجهود التي بذلها علماؤنا في تحقيق النصوص من خلال طرح التساؤل الآتي :

• ما مدى مساهمة علماء العرب في وضع مناهج التحقيق ؟

والإجابة عن هذا التساؤل لابد من الوقوف عند نقطتين أساسيتين :

- أولا : الجانب التأصيلي لمناهج التحقيق عند العرب .

- ثانيا : نماذج عن أشهر المحققين العرب .

أولا : الجانب التأصيلي لمناهج التحقيق عند العرب :

لقد سبق العرب علماء أوروبا ، إلى الاهتمام للقواعد التي يقابلون بها بين النصوص المختلفة، لتحقيق الرواية، والوصول بتلك النصوص إلى الدرجة القصوى من الصحة، فما صنعه علي ابن محمد بن عبد الله اليوناني في تحقيق

روايات "صحيح البخاري" للإمام البخاري، ليعد مفخرة لعلمائنا القدامى، في التحقيق والضبط، والتحري الصواب، وسلوك الطرق المختلفة للوصول إليه .

ولم تنشأ الحاجة إلى هذا العلم عند العرب، إلا عندما قل الاعتماد على الرواية الشفوية في تحصيل العلم، فقد كان الشك في الكلمة المدونة، وعدم الثقة بما هو مكتوب، هو السبب في أنهم لم يكونوا يجيزون لأحد أن يقرأ لتلاميذه شيئاً من كتاب معين، أو يذكر من هذا الكتاب شيئاً في مؤلفاته، إلا إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه، أو على من قرأه على مؤلفه... الخ. وحصل من شيخه على إجازة برواية هذا الكتاب أو ذاك، غير أن بعض العلماء كان يضطر أحياناً، إلى النقل من كتاب من غير سماع، فيض على ذلك ويشير إليه وقد سمى العلماء هذه الطريقة بـ "الوجادة" وهي مصدر قولهم (وجدت في كتاب فلان كذا وكذا) .⁽¹⁾

إن شيوع الوجادة في القرن الرابع الهجري هو الذي أدى إلى نشوء فن تحقيق النصوص عند علماء العربية، لم يقتصر الأمر في ذلك على الناحية العملية بل تعداه إلى التأليف النظري في قواعد هذا الفن، حيث نرى علماءنا القدامى يعالجون الكثير من المسائل المتعلقة بتحقيق النصوص،⁽²⁾ وفي ما يلي نماذج منها :

1- المقابلة بين النسخ :

تجلب مخطوطات المؤلف الواحد صوراً شتى من الروايات، وفي كثيراً من الأحيان نجد بعض النسخ قد انفردت بزيادات لا نجدها في النسخ الأخرى، فهذه الزيادات مما ينبغي أن يوضع تحت الفحص والخبرة ليحكم المحقق بمدى صحتها وانطباقها على سياق النسخة وأسلوب المؤلف، ولينظر فيها طويلاً فقد تكون نتيجة لخطأ الناسخ، فبعض المسرفين من النساخ يمزج صلب الأصل الذي نقل عنه بالحواشي التي أضيفت عليه من قبل القراء والمالكين وأما العبارات الأصلية التي تزيد بها بعض النسخ عن الأخرى ويؤيدها الفحص فهي جديرة بالإثبات. والعبارات المعتلة التي تحمل الخطأ النحوي مرجوحة، أجدر بالإثبات منها عبارة النسخة التي لا تحمل هذا الخطأ، كما التي تحمل الخطأ اللغوي أو يستحيل معناها المعنى، أو ينعكس، أو يستغلق فهمه، هي رواية مرجوحة، أحق منها بالإثبات رواية النسخة السالمة من هذه العيوب.

وهذا كله في النسخ الثانوية، أما النسخ العالية فإن المحقق حري أن يثبت ما ورد فيها خطأ كان أو صواباً، على أن ينبه في الحواشي على صواب ما رآه خطأ، حرصاً على أمانة الأداء.

2- تصحيح الأخطاء :

قد يجد المحقق في تخالف روايات النسخ ما يعينه على استخراج الصواب من نصوصها فيختار من بينها ما يراه مقيماً للنص مؤدياً إلى حسن فهمه، والأمانة تقتضيه أن يشير في الحواشي إلى النصوص التي عاجلها لينتزع من

(1) - رمضان عبد التواب ، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، القاهرة: مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، 1986 ،

ص ص 13-17.

(2) - رمضان عبد التواب ، المرجع السابق ، ص 28.

بينها الصواب، وألا يغفل الإشارة إلى جميع الروايات الأخرى التي قد يجد القارئ فيها وجهاً أصوب من الوجه الذي ارتأه .

وقد يقتضيه التحقيق أن يلفق بين روايتين تعمل كل منهما نصف الصواب ونصف الخطأ، فهو حينئذ يثبت من ذلك ما يراه، على أن لا يغفل الإشارة إلى الروايات كلها، ففي ذلك الأمانة وإشراك القارئ في عملها. وقد يقع القارئ على عدة عبارات كلها مخرفة، فإذا أراد تقويمها فلا بد أن يتقيد بمقاربة الصور الخرفية التي تقلبت فيها العبارة في النسخ بحيث لا يخرج عن مجموعها بقدر الإمكان، فتصحح " لبط به " و " لبطه " إلى " لبط به " بمعنى صرع تقويم صحيح، وكذلك تصحيح " العصراء " بـ " القصواء " اسم ناقعة، وهو في هذه الأحوال كلها لابد له أن يستعين بالمراجع. (3)

3- السقط :

اعتاد كاتب المخطوط في القلم، أنه إذا سقط منه شيء من النص سبوا ثم أراد أن يستدركه، فإنه لا يضعه بين السطور، حتى لا يشوه جمال الصفحة، وإنما يضعه على حاشية الصفحة ويشير إلى مكانه من النص بما يسمى " علامة الإلحاق " أو " علامة الإحالة " وهي عبارة عن خط رأسي مائل نحو اليمين، إذا كتب الاستدراك على الحاشية اليسرى، أو نحو اليسار إذا كتب الاستدراك على الحاشية اليسرى للصفحة .

وكان القدماء يفرقون بين الحواشي التي هي من صلب النص ومقطعت من النسخ سبوا، وتلك الحواشي التي يفسر بها الكاتب كلمة، أو يوضح غامضاً، أو يشير بها إلى رأي له بتلك العلامات أو الخطوط المنقطعة .

4- الزيادة :

جرت عادة القدماء أنه إذا وقع في الكتاب زيادة أو كتب فيه شيء على غير وجهه، تخيروا بين أمور ثلاثة :

الأول : الكشط وهو سلخ الورق بسكين ونحوها.

الثاني : المحو، وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن وهو عندهم أولى من الكشط.

الثالث : الضرب عليه، وهو أجود عندهم من الكشط والمحو، لاسيما في كتب الحديث

وفي كيفية الضرب خمسة أقوال مشهورة :

(أ) أن يصل بالحروف المضروب عليها، ويخلط بها خطاً متناً .

(ب) أن يكون الخط فوق الحروف منفصلاً عنها، منعطفاً طرفاه على أول المبتل وآخره كاللواء المنقوبة.

(ج) أن يكتب لفظة (لا) أو : لفظة (من) فوق أوله، ولفظة : (إلى) فوق آخره، ومعناه " من هنا محذوف إلى هنا " .

(د) أن يكتب في أول الكلام المبتل وفي آخره نصف دائرة.

(هـ) أن يكتب في أول المبتل وفي آخره صفراً، وهو دائرة صغيرة، وهذا الصفرة هو علامة النقطة في المخطوطات القديمة .

وإذا تكررت كلمتان أو عبارتان سهواً، فإن الضرب عادة يكون على الثانية منهما، لوقوع الأولى صواباً في موضعها، وإذا كان القاضي عياض يضع لذلك الضوابط، التي تحفظ للمخطوط رونقه وجماله، فيقول "وأرى أنه إن كان الحرف تكرر في أول السطر مرتين، أن يضرب على الثاني، لئلا يطمس أول السطر ويسخّم، وإن كان تكرر في آخر السطر وأول الذي بعده، فليضرب على الأول الذي في آخر السطر، وإن كانا جميعاً في آخر السطر، فليضرب على الأول أيضاً لأن هذا كله - من سلامة أوائل السطور وأواخرها - أحسن في الكتاب وأجمل له، إلا إذا اتفقا آخر سطر وأول سطر، فمراعاة الأول من السطر أولى.⁽⁴⁾

5-علامات الترقيم والترميز والاختصارات :

العناية بعلامات الترقيم في تحقيق المتن أشد أهمية من كتابة البحوث ولم تظهر العناية بعلامات الترقيم عند العرب إلا في وقت متأخر، ومع ذلك فقط كان عندهم أكثر من علامة، من ذلك:

○ تدل هذه الحلقة على النقطة التي تختتم بها الجملة أو ينتهي بها المقطع .

+ وضع بعضهم علامة الجمع على أول الفكرة التي يحس بأنها غامضة .

— يسمونها في نهاية المقطع عوضاً عن النقطة .

● يسمونها بين شطري الشعر إذا لم يفصلوا بين الشطرين .

... يضيفها المحقق دلالة على الكلمات الساقطة، ولم تستدرك، واصطلحوا على أن لكل كلمة ساقطة ثلاث نقاط، وإذا كان النقص يشمل سطراً فأكثر (من غير تحديد) نقطوا السطر كله، وأشاروا في الحاشية إلى حجم النقص .

[] علامتا التكملة، حيث يضاف بينهما ما استدرك من نسخة أخرى أو كتاب آخر، وقد يستعاض عنهما بخطين عموديين // أسودين.

/ علامة انتهاء الورقة وبدء ورقة أخرى.

وفيما يتعلق بالرموز والمختصرات فقد لا نجد في مؤلفاتنا الحديثة رموزاً علمية ومختصرات معترف بها علمياً، بحيث نستطيع بما استعاضة عن الكلمات الكثيرة والجمل كما هو معروف عند الغربيين، لكننا نجد رموزاً كثيرة ودقيقة جداً، وذات أهمية بالغة عند المؤلفين المسلمين، ولا سيما في مجال علوم القرآن والحديث، لأنهم أحسوا بجداولها في عملية تكثيف حجم كتاباتهم، لفت انتباههم ضرورتها، فابتكروها فرادى وتداولوها جماعات، ومن أمثلتها:

ن: النسائي، نسخة - خ: البخاري - م: مسلم - هـ: هامش، نقطة - ح: حاشية - الخ: إلى آخره - اهـ: انتهى - ثنا: حدثنا.⁽⁵⁾

6- الحواشي والتعليقات :

هناك مدرستان لإثبات الحواشي من شروح وتعليقات :

(4) - رمضان عبد التواب ، مرجع سابق ، ص ص 35-38 .

(5) - محمد التويني ، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ، عالم الكتب ، ص ص 149-151 .

الأولى: الاكتفاء ببيان فروق النسخ فحسب، ذلك أن عدم إثقال النص بتعليقات وحواش هو أمر ليس من عمل المحقق، فالتحقيق ليس شرحاً، وإنما هدف التحقيق هو إبراز الكتاب كما أراده مؤلفه على الصورة التي ارتضاها .
الثانية: إثبات شروح وتعليقات من تخريج للأحاديث وبيان درجتها وتعريف بالأعلام والأماكن، وشرح للغريب، وتخريج للنصوص المقتبسة، وإبداء الرأي في الغامض من العبارات والتعليق على ما يشكل فهمه بحيث يكون النص واضحاً مشروحاً جاهزاً للبحث .

ولاشك أن التوسط في الشرح والتعليق من خلال قاعدة " توضيح النص وضبطه " هي الطريقة المثلى التي يجب اعتمادها، وفيها تظهر مدى كفاءة المحقق العلمية والعملية .⁽⁶⁾
وبالرغم أن قواعد التحقيق، إلا أن لكل محقق منهجه في تحقيق النصوص، وعليه يمكن الإشارة إلى أشهر المحققين العرب من خلال ذلك يتبين حجم الاختلاف بينهم من ناحية المنهج المتبع في التحقيق.

ثانياً : نماذج عن أشهر المحققين العرب :

التأمل لحركة تحقيق التراث في العصر الحاضر يقف على التباين الواضح في النهج الذي يسلكه المحققون ويمكن أن تجلّى مظاهر ذلك من خلال حرص بعضهم على تتبع نسخ المخطوط ودراستها، لاختبار ما يعتمد منها لتحقيقها بقصر بعضهم في ذلك قصوراً واضحاً، كما يعتني بعضهم بتصحيح النص وتحريره من التصحيفات والتحريفات والأخطاء، في حين أن بعضهم يهمل في ذلك، وبينما يدع بعض المحققين في توثيق نصوص الكتاب، ودراسة رواياته دراسة متأنية دقيقة، نجد من يهمل ذلك إهمالاً واضحاً يتم عن ضيق أفق، وقلة دراية إلى غير ذلك من الأمور.
إن الحديث عن التباين في النهج لدى المحققين، أو المشتغلين بالتحقيق يسوقنا إلى استجلاء أبرز ملامح النهج الذي يسلكه بعض الرواد والمشهورين منهم كل على حدة⁽⁷⁾، بشيء من الإيجاز:

- أحمد زكي باشا : (شيخ العروبة)، يعد أول عربي أخذ بالمنهج العلمي، وكان رائداً في إثبات كلمات (تحقيق) على غلاف تحقيقاته، مع الفهارس الفنية النافعة⁽⁸⁾، وقد عني بجمع المخطوطات عناية فائقة، واتجه إلى نشرها وتحقيقها على أسس علمية تنم عن الدقة والالتزام بنهج التحقيق، وما يتطلبه من جمع نسخ المخطوطة والمقابلة بينها والتعليق على النص ويصدر الكتاب بدراسة حول التعريف بالمؤلف وكتابه، ووصف النسخ المعتمدة كما وضع في تحقيق كتاب الأصنام لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
- الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد: كانت له عناية بنشر كتب التراث وتحقيقها، وأخرج منها ما يربو على أربعين كتاباً، وسيطر في صفحة العنوان في الغالب عبارة "حققه وضبط غريبه، وعلى حواشيه، وضع فهارسه

(6) - إيداد خالد الطباع ، منهج تحقيق المخطوطات ، دمشق : دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 73 .

(7) - عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1994 ، ص 86-87 .

(8) - عباس هاني الجراخ ، مناهج تحقيق المخطوطات ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، 2010 ، ص 18 .

محمد محي الدين عبد الحميد"، إلا أنه لا يعنى كثيرا بالنسخ الخطية واستقصائها، وقد يعتمد في نشر بعض الكتب على ما سبق لها من طبعات ولعله يعتمد إلى ذلك في بعض كتبه دون أخرى، كما أنه يوجز في التعليقات، فالعبرة عنده ليست بكثرة التعليقات، وإنما بالتركيز على تحرير النص وإخراجه مضبوطا بالشكل وصحيحا.

- الشيخ أحمد محمد شاكر: من الرواد الأوائل في تحقيق المخطوطات، عكف على تحقيق عدد ليس بقليل من كتب التراث ولا سيما في الحديث وعلومه ومن أشهر أعماله تحقيقه لمسند الإمام أحمد بن حنبل الذي توفي عنه قبل أن يتمه، كما أنه يعنى بجمع نسخ الكتاب وبينه على الزيادة التي ترد في النسخ في حاشية التحقيق، ويولي اهتماما بالغاً بالفهارس فقد وضع لكتاب الرسالة فهارس عديدة منها: فهرس الآيات وفهرس الأبواب وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس الأشياء... الخ.

- الأستاذ محمود محمد شاكر: قمة شائخة في اللغة العربية وعلومها تفانى في الدفاع عن القرآن الكريم وعن تراثنا الإسلامي المجدد، ومن أشهر أعماله تحقيق التفسير للإمام الطبري الذي خرج منه ستة عشر مجلداً، وكتاب تهذيب الآثار للطبري أيضاً في ثمانية أجزاء وطبقات فحول الشعراء لمحمد بن السلام الجمحي في مجلدين، تميز منهجه في التحقيق بالحرص على تقصي نسخ الكتاب المخطوطة والاستعانة بما يرد في المصادر الأخرى التي تنقل عن الكتاب الذي يعمل في تحقيقه والاقتصار في ذكر المصادر للتوثيق والتعليق على ما لا غنى عنه، كما يعنى بالتعليقات والفهارس المتنوعة حيث صنع لكتاب طبقات فحول الشعراء تسعة أنواع من الفهارس.⁽⁹⁾

- الأستاذ عبد السلام محمد هارون: بدأ مزاولة التحقيق في سنة 1928 عندما لم يكن هناك منهج موحد لنشر الكتب، فألف كتابه الرائد "تحقيق النصوص ونشرها" سنة 1954، كما عرف بتحقيقه لكتب الجاحظ ورسائله، وتحقيقات أخرى منها بمشاركة المرحوم أحمد محمد شاكر.⁽¹⁰⁾ تميز منهجه في التحقيق بالعناية بجمع النسخ والأصول الخطية للكتاب والمقابلة بينها والتصحيح في صلب المتن، والإيجاز في التعليقات والتألق في وصنع الفهارس.⁽¹¹⁾

من خلال هذا العرض لأشهر المحققين يظهر جلياً الاختلاف بين الأسس النظرية لعلم تحقيق المخطوطات، وبين تطبيقها في الواقع، مما يؤكد على ضرورة الالتزام بالنهج الأمثل للتحقيق على ضوء أسسه النظرية حتى تضيق هذه الفجوة، أو تتلاشى على أيدي ذوي الدراية الواسعة والخبرة الكافية بتحقيق المخطوطات.

(9) - عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص ص 91-101.

(10) - عباس هاني الجراخ، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

(11) - عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص 102.

الخاتمة :

من خلال ما سبق ذكره يتبين أن تحقيق النصوص علم واسع أسس قواعده علماءنا المتقدمين فسار على خطاهم المحدثين فطوروا مناهجه وبذلوا الجهود الكافية لإحياء هذا العلم .

وإن كنا نأسف لما آل إليه تحقيق المخطوطات في بلادنا العربية، فإنه لم يفت الأوان لإصلاح هذا الوضع وتقويمه

تقويماً صحيحاً من خلال قيام حركة نقدية جادة لما ينشر من تراثنا، وعن طريق هذه الحركة نقف على الغرر من الأعمال ونضع يد القائمين بها على الأصول الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها التحقيق في صورته التالية، مع الإشادة بالأعمال الجادة والمتقنة والتنويه بها، فساحتنا اليوم تكاد تخلو من مثل هذه الحركة إلا في القليل النادر الذي لا يواكب السيل الجرار من الكتب المحققة التي تلفظها أفواه المطابع كل حين، ونأمل من مجلات الجامعات النورية والعلمية، ومعهد المخطوطات والجامعات ومراكز البحوث، والمجلات الثقافية أن تولي هذا الجانب كل عناية واهتمام، وأن يتجاوب معها كل محب لتراث أمته من أهل العلم والثقافة والعناية بهذا التراث، وذلك بمتابعة كل ما ينشر منه والعمل على نقده وتقويمه.

قائمة المراجع :

1- إياد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات، دمشق : دار الفكر، الطبعة الأولى، 2003.

2- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، القاهرة : مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1986.

3- محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب .

4- عباس هاني الجراخ، مناهج تحقيق المخطوطات، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 2010.

5- عبد الله بن عبد الرحيم عسيان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1994 .

6- عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة السادسة، 1995.